اهتمام المسلمين بالكتب

إعداد

منصور بن عبد الله المشوح

مصدر هذه المادة:







بسم الله الرحمن الرحيم

ودولة الســـيف لا تقـــوى دعامتـــها
ما لم تكـــن حالفتـــها دولـــة الكتـــب

مصطفى صادق الرافعي

مقدمة

لقد سعت أمم شتى منها المغول لقيادة العالم.. وتولي زمام أموره.. لكن سعيها باء بالفشل.. لأن تلك الأمة لم تكن تتميز عن غيرها بشيء سوى القوة العسكرية.. أما قوة العلم والمعرفة فلا أحسب أنها كانت من ميزاتها..

أما نحن المسلمون فإننا نجحنا، في قيادتنا للعالم، يوم أن كنا متمسكين بتلابيب العلم.. سالكين طريقه بجد.. غير غافلين عن ضرورة إعداد القوة العسكرية.

أما اليوم، أعني تاريخ المسلمين الحاضر، فقد تغير كثيرًا عن الأمس.. فلا نحن نجحنا من جهة العلم وإحرازه ولا من جهة الإعداد.. وبالتالي لم ولن نتمكن من قيادة العالم..

لقد سيطرة الدنيا على عقول كثير من الناس.. وأصبحت المادة- لا العلم، هي مقياس التفوق والنجاح.. بل صار العلم ذاته سلمًا يصعد منه لنيل المادة..

الطفل، وهو طفل يرضع منذ صغره أن غناه وفقره منوطان ومعلقان بالمدرسة..

والطالب حين يستلم شهادة التخرج يستلمها على أنها شهادة تؤكد استحقاقه للوظيفة..

والموظف لا يكتب المقالات إلا لكونها تمهيدًا لحيازة منصب.. وهلم جرا.. فصناعة المستقبل الذي يعود بالنفع للأمة جمعاء يكاد

يكون بين المسلمين، معدومًا.

نحن بحاجة، والحالة هذه، إلى تذكير الناس بالماضي.. ليس لأنهم آباؤنا فنتلذذ بذكر أخبارهم وأمجادهم فإن هذا أسلوب العاجز المقصر..

إنما نتذكره.. لأن رجاله أولئك استطاعوا بفضل الله ثم بجهدهم أن يغيروا واجهة التاريخ.. وحين نقف لنتأمل في بعض إنجازاتهم فإن الإعجاب يغمر قلوبنا.. والدهشة ترتسم في وجوهنا.. بل وحين نرى هذا العالم الغربي في تمدنه وتحضره وصناعاته لا نملك إلا أن نبتسم لماضينا.. ونبكي على حاضرنا، نبتسم لأننا نعلم أن بدايات هذا التقدم (الصناعي) كان على أيدينا (نحن المسلمين) ونبكي لأننا لم نكمل مشروع آبائنا، إنما أكمله مجتمع الإفرنج الكافر..

لقد تلقي الكافر ما سجلته أكف المسلمين وراح يقرأ فيها.. ويترجمها.. ويكتبها عنها مستنهضًا بذلك أمته، موقظا لها من رقادها الذي طالما عانت أوروبا من ويلاته قرونًا.

لقد نهض الإفرنج بعد أن عرفوا مكانة الكتاب والعلم، وأيقنوا أنهما من أعظم أسباب التقدم.. وسجل التاريخ لهم، وبدون تردد.. اهتمامهم البالغ بالكتب على وجه الخصوص، إذ كانت عنايتهم بها عناية يشهد لها كل من عاصرها أو قرأ عنها.. ثم كان لهم ما كان..

لكني أقول جازمًا أن عناية آبائنا بالكتب كانت أكبر من عناية

الغرب.. كما شهد بذلك بعض مثقفيهم.. وكما سيأتي في ثنايا هذا الكتب..

بقلم / منصور المشوح

المدخل والأسباب

«قيدوا العلم بالكتاب»

محمد ﷺ

الاهتمام بالكتب

اهتم المسلمون العرب بالكتب وأحبوها واعتبروها كنزًا لهم وعزًا.. حتى فاقوا فيها الحضارات السابقة.. وبشكل ملفت.. يقول ديورانتول في كتابه قصة الحضارة: "ولم يبلغ الشغف باقتناء الكتب في بلد من بلدان العالم، اللهم إلا في بلاد الصين في عهد منج هوانج، ما بلغه في بلاد الإسلام في القرون الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر [1].

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد: "أقبل الناس في البلدان العربية على اقتنائها أي الكتب، بلهفة متزايدة لم يعرف لها التاريخ من قبل مثيلاً" فما سبب ذلك الاهتمام؟

هناك عدة أسباب كانت وراء اهتمام المسلمين بكتبهم.. من أهمها:

أولا: أن الإسلام حث على العلم: وعلى السعي في طلبه، مما جعل العقلاء يقبلون عليه، ويحرصون أشد الحرص على تدوينه وكتابته، جاء عن رسول الله ﷺ الحث على ذلك فقال: «**قيدوا العلم بالكتاب**»[2]. وقال ﷺ: «**اكتبوا لأبي شاه**»[3].

---

(1) قصة الحضارة دويرانت ول (١٣١/١٣).

(2) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه (٣٨٥).

(3) الحديث أخرجه البخاري، وأما حديث أبي سعيد الخدري الذي روى عن النبي ﷺ قوله «**لا تكتبوا عني شيئًا إلا القرآن ومن كتب عني شيئًا غير القرآن فليمحه**» فقد قال ابن الصلاح (لعله صلى الله عليه وسلم أذن في الكتابة عنه لمن خشي =

ثانيًا: أهتم المسلمون بالكتب لأنها هي السبب المهم للتمسك بالدين..

وهذا ما أدركه الأعداء إذا حاولوا فك هذا الترابط الوثيق بين المسلمين وكتبهم.. بكل ما أوتوا من قوة، لكي يتم القضاء على الإسلام وأهله.. ولن ينسى المسلمون أبدًا محاولاتهم الشوهاء في ذلك وعلى رأسها محاولات الكريدنال كسينميس فإنه لما تولى "الأمور في مدينة غرناطة سنة ١٥١١م رأى أنه لا يمكنه القضاء على الإسلام والمسلمين في شبه الجزيرة نهائيًا إلا بالقضاء على ثقافتهم وتراثهم الروحي وحضارتهم المتمثلة في تراثهم المخطوط، فأصدر أمره بجمع جميع الكتب العربية ولا سيما المصاحف منها فجمعت، وكانت غرناطة نفسها مسرحًا لإحراق أكبر عدد من الكتب العربية في جميع أنواع الفنون ومختلف فروع المعرفة(١) وكانت ثمانين ألف مجلد على رواية مؤرخيهم (٢).

عليه النسيان ونهى عن الكتابة عنه من وثق بحفظه مخافة الاتكال على الكتاب أو نهى عن كتابة ذلك عنه حين خاف عليه اختلاط ذلك بصحف القرآن العظيم وأذن في كتابته حين أمن من ذلك) مقدمه ابن الصلاح ٩١.

ويقول الألباني رحمه الله: أعلم أنه قد كان هناك خلاف قديم بين السلف في كتابة الحديث النبوي، فمنهم المانع، ومنهم المبيح، ثم استقر الأمر على جواز الكتابة، بل وجوبها، لأمر النبي ﷺ بها في غير ما حديث واحد كقوله: «**كتبوا لأبي شاه**» أخرجه البخاري، ومن المعلوم أن الحديث هو الذي تولى بيان ما أجمل من القرآن وتفصيل أحكامه، ولولاه لم نستطع أن نعرف الصلاة والصيام، وغيرهما من الأركان والعبادات على الوجه الذي أراده الله تبارك وتعالى. وما لا يقوم الواجب إلا به فهو واجب. حاشية جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٧٠).

(١) المكتبات في الإسلام ماهر حمادة (٢٠٦).

(٢) الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علي (١/٢٢٧).

تعليق

وإن جهودهم في هذا المضمار لصد المسلمين عن دينهم قائمة إلى اليوم، ومقولة المنصر (تكيلي) لا تزال مناط اهتمام الغرب وعنايتهم لقد قال: "إن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقي مقدس، يعني القرآن، أمرًا صعبًا" [١] هذا ما قالوه وما تخفي صدورهم أكبر.

ثالثًا: اهتموا بالكتب لأنها هي التي تنمي الفكر: وهي التي تشعل فيه جذوة التأمل والتدبر، كما ألمح إلى ذلك العقاد في مقولة رائعة: "الكتب طعام الفكر" [٢] وألمح إلى ذلك المأمون من قبل.. إذ يروى "أن الرشيد دخل على المأمون وهو ينظر في كتاب، فقال: ما هذا؟ قال: كتاب يشحذ الفكرة، ويحسن العشرة" [٣].

وقال أحد العلماء: "إن بستان الكتب يجلو العقل، ويشحذ الذهن، ويحي القلوب، ويقوي القريحة" [٤].

رابعًا: الكتب آمنة بإذن الله من التحريف: لذا تجد النبلاء من الناس يهتمون بالكتابة لهذا السبب.. وذو الرمة يقول لعيسى بن عمر "اكتب شعري، فالكتاب أعجب إلي من الحفظ، وإن الإعرابي ينسى الكلمة قد سهرت في طلبها ليلة، فيضع في موضعها كلمة في

---

(١) منهج كتابة التاريخ لمحمد السلمي (٤٣).
(٢) أنا عباس العقاد (٨٨).
(٣) زهر الآداب، لأبي إسحاق الحصري القيراوني (١٨٤).
(٤) مقتطفات في الكتب والقراءة، كامل العسلي (١٤).

وزنها ثم ينشده الناس، والكتاب لا ينسى، ولا يبدل كلامًا بكلام" [١].

والجاحظ حين مدح الكتاب وصفه بأنه الصاحب الـــذي "لا يحتال لك بالكذب" [٢].

هذه أهم الأسباب.. وقد تكون هناك أسباب أخـــرى يـــرى القارئ أنها أهم..



(١) تقييد العلم، الخطيب البغدادي (١١٩).
(٢) الحيوان، الجاحظ (١/٥١).

المظـــــــاهر

مظاهر الاهتمام

أولا: شراء الكتب:

لقد كان العلماء وغيرهم.. يبذلون، في سبيل اقتناء الكتب، الأموال الطائلة، ولم يكونوا يترددون في شرائها أبدًا، بل كانت محبتهم لها تجعلهم لا ينظرون إلى سعرها البتة.. وما ذاك إلا تعظيمًا للعلم.. وكما يقول الجاحظ: "كان سخاء النفس بالإنفاق على الكتب، دليلاً على تعظيم العلم" (١) "روى عن أحد علماء أصبهان الأغنياء أنه أنفق في شراء كتبه ثلاث مائة ألف درهم" (٢) و" كان بعض القضاة يشتري الكتب بالدين والقرض، فقيل له في ذلك، فقال: أفلا أشتري شيئًا بلغ بي هذا المبلغ قيل فإنك تكثر، فقال: على قدر الصناعة تكون الآلة" (٣).

بل إن من العلماء من كان يتلذذ في نفقته على الكتب أشد من تلذذ العاشق بقيانه.. **يقول ابن الجهم**: "من لم تكن نفقته على الكتب ألذ عنده من إنفاق عشاق القيان لم يبلغ في العلم مبلغًا رضيًا" (٤).

إصرار على الشراء مع المعاتبة:

كان العلماء والأدباء يجدون لومًا من الأمهات أو من الزوجات

(١) الحيوان (٥٥).
(٢) ظهر ا لإسلام، أحمد أمين (٢/٢٢٢).
(٣) تقييد العلم (١٣٧).
(٤) الحيوان (١/٥٥).

على كثرة شرائهم للكتب.. وكانوا يجيبونهم بكل أدب ولين.

قال بعضهم لما عاتبته زوجته في كثرة ما ينفق على الكتب:

وقائلة أنفقت في الكتب ما حوت
يمينك من مال فقلت دعيني
لعلي أرى فيها كتابًا يدلني
لأخذ كتابي آمنًا بيميني [١]

وهذا عبد العزيز الرفاعي يذكر قصته مع أمه ومعاتبته له.. يقول: "كانت والدتي تلومني أحيانًا، لما ترى من اندفاعي في شراء الكتب والصحف.. فكنت دائمًا اسكتها بحجة قوية.. هي أني لا أدخن.. مثل بعض لداتي.. وأن الكتب على أية حال أفضل من الدخان الذي يذهب في الهواء، ويعود على الصحة بالأضرار، كان ذلك يقنعها ويرضيها.. ولكن يظل لديها تحفظ على ازدحام المنزل بالكتب، وما تسببه الكتب من مضايقات منزلية.. وهذه مشكلة لدى كل أسرى تبتلى بمن يهوى الكتب.. وهي مشكلة قديمة وفي تاريخها الكثير من الطرف والنوادر.. والله المستعان [٢].

متاجر بيع الكتب:

أما متاجر بيع الكتب فلا تسأل عن كثرتها ففي بغداد وبالتحديد عند بوابة البصرة كان يوجد "أكثر من مائة متجر" [٣].

(١) كيف تقرأ كتابًا محمد المنجد (١٠).
(٢) رحلتي مع المكتبات عبد العزيز الرفاعي (٥٣).
(٣) شمس العرب تسطع على الغرب (٣٩٠).

و لم تكن تخلو تلك المتاجر من المشترين بل كان يتردد إليهـا الناس على اختلاف طبقاهم "فكل متعلم من أكبر كبراء الدولة إلى بائع الفحم، ومن قاضي المدينة إلى مؤذن المسجد، هم زبون دائـم عند بائع الكتب" [١].

تعليق

لكن من العدل والإنصاف أن نقول: ليس كل من يشتري كتبًا يعد مهتمًا بها أو محبًا لها فربما كان الهدف من شـرائه لهـا مخزيًـا وحقيرًا.. ودونك هذا الخبر: يقال أن مدائح ابن هـبيرة جمعـت وكانت "ما يزيد على مئتي ألف قصيدة في مجلدات. فلما بيعت بعد موته اشتراها أحد خصومه فغسلها [٢].. أي أتلفها حسدًا.. غـير عابئ بما فيها من جمال اللغة والأدب.. ولا ملتفت إلى ما قد تحمله من تاريخ وحضارة.. أو إبداع أو إنتاج.

ثانيًا: جمع الكتب:

اهتمام المسلمين بجمع الكتب ظهر ابتداء في عصر بني أمية على يد معاوية رضي الله عنه الذي يقال إن له خزانة كانت تحتوي، والله أعلم، على أخبار الملوك.. ذكر ذلك المسعودي بعد أن وصف مـا يقوم به معاوية من أعمال في يومه:

"ينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد، ويحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكايد، فيقرأ ذلك عليه غلمان مرتبون، وقد

(١) نفسه (٣٨٨).
(٢) دور الكتب العربية العامة وشبه العامة يوسف العش (٢١٠).

وكلوا بحفظها وقراءها [1] وانتقلت خزانة الكتب إلى خالد بن يزيد.. ثم جاء الوليد بن عبد الملك فاكتملت على يديه تلك الكتب[2].

ومع بساطة المكتبة التي كانت عند معاوية رضي الله عنه إلا أننا نستطيع القول إنها كانت هي البذرة الأساسية لنشوء المكتبات في الإسلام هذا إذا اعتبرنا أن الخبر صحيح.

وفي العصر العباسي جاء هارون الرشيد وبنى مكتبته الشهيرة (بيت الحكمة) التي اشتد عودها وذاع صيتها في خلافة المأمون.. ومنذ ذلك الحين والحكام وغيرها.. يولون المكتبات والكتب كل اهتمام.

وبعد هذا الاستطراد اليسير.. نعود، لنذكر بعض النماذج التي اشتهرت بجمع الكتب، ومنهم:

ابن حاجب النعمان: لما ترجم له ابن النديم قال: "لم تشاهد خزانة للكتب أحسن من خزانته.. لأنها كانت تحتوي على كل كتاب عين، وديوان فرد، بخطوط العلماء المنسوبة [3]"[4].

---

(1) دور الكتب العربية العامة وشبه العامة يوسف العش (٢١٠).

(2) المرجع السابق (٤٥) بتصرف شديد.

(3) والخط المنسوب هو: طريقة جديدة للنسخ تكون الحروف الهجائية بحسبها منسجمة بعضها مع بعض، ومنسوبة للألف التي توضع لها قاعدة قياس.. وهذه الكتابة على أي حال مشتقة من الشكل الكوفي.. انظر/ دور الكتب العربية العامة، يوسف العش (٣٠٥).

(4) الفهرست، ابن النديم (٢١٧).

ولما ترجم أيضًا لابن الكوفي [١] والمعـــراني [٢]، والصـــولي [٣] وصفهم بأنهم (جماعين للكتب) وكأنها منقبة لا يدركها إلا عمالقة الرجال.

وابن القيم: كان مغرى بجمع الكتب فحصل منها ما لا يحصر حتى كان أولاده يبيعون منها دهرًا طويلا سوى ما اصطفوه منـــها لأنفسهم [٤].

وكان عند البارزي من الكتب ما لا يحصى كثرة، وإذا سمـــع بتصنيف لأحد من أهل عصره جهز الدراهم، واستحثه واستنسخه" [٥].

وقيل إن ابن الملقن كان عنده من الكتب ما لا يدخل تحـــت الحصر، منها ما هو ملكه، ومنها ما هو ملك المدارس [٦].

وكانت فهرست كتب ابن سريج: تشتمل على أربـــع مائـــة مصنف [٧].

وأخبار العلماء في جمع الكتب كثيرة:

---

(١) نفس المرجع (١٢٦).
(٢) نفس المرجع (٤٤٩).
(٣) نفس المرجع (٢١٠).
(٤) المختار المصون من أعلام القرون، محمد حسن عقيل موسى الشريف (١/١٨٥).
(٥) نفس المرجع (١/٢٤٧).
(٦) المرجع السابق (٤٧).
(٧) وفيات الأعيان، ابن خكان (١/٨٩).

جمع الكتب الغريبة:

قال أبو حيان التوحيدي "وأما القومسي أبو بكر فهو.. جماعة للكتب الغريبة، محمد العناية بالتصحيح والإصلاح والقراءة" [١].

محمد بن الحسين: ويعرف بابن أبي بعرة.. يقول عنه ابن النديم "جماعة للكتب، له خزانة لم أر لأحد مثلها كثرة تحتوي على قطع من الكتب الغريبة في النحو واللغة والأدب، والكتب القديمة" [٢].

النساء وجمع الكتب:

و لم يكن اهتمام المسلمين بجمع الكتب مقصورًا على الرجال فقط، بل إن من النساء من اشتهرت بذلك ومنهن "عائشة بنت أحمد بن محمد بن قادم.. التي يذكر ابن بشكوال أنها كانت تملك خزانة علم كبيرة" [٣].

ماذا ينبغي لجامع الكتب؟

١- أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها الأهم فالأهم، وكلما كانت همته أكبر.. كان احتياجه للكتب أكثر.

٢- أن يبتعد عن اقتناء كتب أهل البدعة والضلال والفلسفة فإن مضارها أكبر من منافعها، وليعلم أن الكتب للفكر كالطعام للجسم منها الصحيح ومنها الفاسد.

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي (٣٤).
(٢) الفهرست (٦٣).
(٣) لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات، عبد الستار الحلوجي (٤٨).

٣- أن لا يكون الهدف من جمعها المضاهاة والرياء.

قبل شراء الكتاب:

"كان الأقدمون في العصور الإسلامية لا يقتنون الكتاب إلا بعد تفحصه، وإمعان النظر فيه خشية أن يكون فيه نقص أو تشويش"[1].

من لم يحرص على اقتناء الكتب:

هناك من المشاهير العرب من لم يحرص على اقتناء الكتب، أمثال أبي نواس والرصافي.. قال إسماعيل بن نوبخت: ما رأيت قط أوسع علمًا من أبي نواس ولا أحفظ منه مع قلة كتبه، ولقد فتشنا منزله بعد موته فما وجدنا له إلا قمطرًا فيه جزاز مشتمل على غريب ونحو لا غير" [2].

أما الرصافي فقد وصف لنا ذلك الزيات حين زاره فقال: "قلت لصاحبي ذات ليلة في بغداد: أريد أن أزور الرصافي فقد زارني مرارًا ولم أزره.. ودخلنا البيت فإذا هو الشاعر الأعزب المتلاف، لا أثاث ولا نظام ولا حرمة، وكلمة الشاعر هنا بدل الأديب تدلك على أن ليس بالمنزل مكتب ولا مكتبة، فقد كان الرجل لا يقرأ وإنما كان يتكئ على شدة ذكائه وحدة فهمه، ويكتفي بما حصل في شبابه من أدبه وعلمه" [3].

---

(١) خزائن الكتب القديمة (١٥).
(٢) وفيات الأعيان (٧٩/٢).
(٣) المتقبس من وحي الرسالة (١٨٢).

تعليق

لماذا لم يحرص أبو نواس والرصافي على اقتناء الكتب؟

إن القارئ لسيرة هذين العلمين يجد أنهما شاعران، وكان جل شعرهما في المجون والخلاعة والعبث.. وقد أوتيا من قـــوة الـــذكاء والحفظ ما يجعلنا نقول أن ذلك ربما كان سببًا لزهدهما في الكتب.. هذا التعليل قد يصلح بالنسبة للرصافي.. كما قال ذلـــك الزيـــات سلفًا.. أما أما أبو نواس فقد يكون الذي دفعه إلى زهده في شـــراء الكتب: قلة ذات اليد.. كما أكد ذلك هو في بعض شعره.. يقول:

أريـــد قطعـــة قرطـــاس فتعجـــزني
وجـــل صـــحبي أصـــحاب القـــراطيس
لحـــاهم الله عـــن ود ومعرفـــة
أن المياســـير منـــهم كالمفـــاليس

ثالثًا: امتلاك النسخ المتعددة للكتاب الواحد:

هناك من العلماء من يكون حريصًا على امتلاك أكثـــر مـــن نسخة للكتاب الواحد، إما لاختلاف خطاطيها، أو لأنها كانـــت تحت ملكية علماء مشهورين.. ومن هؤلاء ما ذكره الجاحظ قال: "حدثني موسى بن يحيى قال: ما كان في خزانة كتـــب يحـــيى، وفي بيت مدارسه كتاب إلا وله ثلاث نسخ [1].

وحكى ابن صورة الكتبي أن ابنه الفاضل عبد الرحمن بن علي

---

(1) الحيوان (١/٦٠).

البياني: القاضي الأشرف التمس مني أن أطلب له نسخه الحماسة ليقرأها فأعلمت القاضي الفاضل، فاستحث من الخادم الحماسات فأحضر له خمسًا وثلاثين نسخة وصار ينفض نسخة نسخة ويقول هذه بخط فلان، وهذه عليها خط فلان حتى أتى على الجميع، قال: ليس فيها ما يصلح للصبيان، وأمرني أن اشتري له نسخة بدينار [1] ومما يشابه هذا في عصرنا الحاضر.. تعدد الطبعات.. واختلاف المحققين، وجودة الورق..

تعليق

يجب أن نعلم أننا حين ذكرنا حرص أولئك على جمع النسخ لا يعني بالضرورة أنهم كانوا مصيبين.. إذ إننا لو تأملنا قليلا لوجدنا أنه لا داعي لتكرار نسخة ليس لوجودها فائدة.. ما بالك إذا بمخزن يمتلئ بالنسخ المكررة.. في رأيي أنه ليس هناك مبرر لجمع المكرورات سوى الجشع.. بله المخطوطات التي من خصوصيات المحقق والباحث.. أعرف أن هناك أناسًا، ممن يقتنون نسخًا مكررة، يعشقون الكتب ويهيمون بها، لكن لا يعني هذا، أبدًا، أن يكونوا من محبي الكتب الأوفياء.. لربما تكون محبتهم لها ضرب من الجنون يجمعونها ولكن لا يقرءون أو يعقلون محتواها.

مجانين الكتب:

هي فكرة اقتبسها من كتاب (تاريخ القراءة) لمؤلفه/ ألبرتو مانفويل الذي عبر مؤلفه عن فكرته تلك بعبارة أخرى هي:

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم، ابن جماعة (١٦٥).

مهووس الكتب ومن سماته الظاهرة:

١- مجنون الكتب قد يكون ممن يجالس العلماء لكنه ليس بمنزلة علمهم، ومع ذلك هو يريد أن يصارعهم وأن يذكر اسمه بينهم، وليس طريق أسهل له، في نظري، من تجميع الكتب.. فتجميعها عباءة تبرأ المرء من قمة الجهل..

فمثلا: هو عندما يسمع من العلماء حديثًا عن كتاب.. ويريد أن يبرأ نفسه من الجهل.. ليس عليه إلا أن يقول في نشوة وفخر: الكتاب موجود عندي.. لا أكثر..

٢- مجانين الكتب هم الذين يجعلون الكتب كالتحف.. التي لا تتخذ إلا للزينة.. يزينون بها غرف نومهم، وأماكن جلوسهم فليتهم قرؤوها ليتحفوا بها عقولهم، ويزينوا بها أذهانهم..

٣- مجانين الكتب هم الذين يقتنوها لتكون سببًا أساسيًا لشهرتهم.

رابعًا: إهداء الكتب [1]:

كانت الكتب تعتبر من أنفس الهدايا، وأجملها، وأكثرها قبولا

---

[1] وهذه قصة وقعت لأديب الأطفال عبد التواب يوسف مع أحفاده، رأيت أن أذكرها هنا للفائدة لأنها تجسد اهتمام أطفالنا يقول إنه جاءهم ذات يوم بهدية ملفوفة استقبلوها جميعهم بالتصفيق والترحاب، وحين أخذ ينضو عنها لفافاتها الواحدة تلو الأخرى مثيرًا حب الاستطلاع لديهم، وكشف النقاب عنها، فإذا بها كعكة كبيرة من الحلوى المزينة، وإذا بهم يستقبلونها بصخب وتصفيق، كل منهم يطالب منها، إلا واحدًا منهم، كان قد نشأ في كندا، وجاء مع أمه ليقضي إجازة صيفية مع جده عبد التواب لم يشارك أقرانه صخبهم، وانزوى كمن يداري خيبة أمل، وحين ناوله جده نصيبه من الحلوى رفض قائلا: "جدي لا أريد حلوى أريد كتابًا" انظر: تسريع القراءة وتنمية الاستيعاب (٢٣).

لدى الناس لا سيما إذا كان المهدي إليه شخص من ذوي الثقافة العالية: "أهدى العميدي قاضي قزوين إلى الصاحب كتبًا وكتب معها:

العميدي عبد كافي الكفاة
وإن اعتد في وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب
مغنمات من حسنها مترعات

فوقع تحتها:

لقد قبلنا من الجميع كتابًا
ورددنا لوقتها الباقيات
لست استغنم الكثير فطبعي
قول خذ ليس مذهبي قول هات[1]

تعليق

ونفهم من هذين البيتين أن الصاحب قبل كتابًا واحداً ورد الباقي، ولا يعني هذا أن الصاحب زهد بها، فالصاحب بن عباد كان مغرمًا بجمع الكتب غرامًا شديدًا حيث نقل عنه أنه كان عنده "من الكتب بقدر ما في دور الكتب الأوروبية مجتمعة" [2]

لكننا نقول إن الكتب التي أهديت إليه قد تكون موجودة

(1) وفيات الأعيان (٣٧٤/١).
(2) قصة الحضارة (٢، ٤/ ١٧١).

عنده، فلو قبلها لأصبحت نسخًا مكررة تأخذ حيزًا من المكتبة بلا فائدة تذكر.. لهذا كان من الأفضل ردها..

قيمة ما يهدي من الكتب:

أما قيمة الكتب التي كانت تهدى من بعضهم لبعض فإنها قد تصل إلى المئات من الدنانير، وإن مما يذكر حول هذا: أن عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسني أهدى إلى أبي بكر الطحاوي كتبًا قيمتها ألف دينار [1].

مقدار الكتب التي كانت تهدي:

قد تصل الكتب المهداة أحيانًا إلى مئات المجلدات: فقد قدم الناصر الأموي الأندلسي.. هدية للخليفة العباسي في بغداد كتبًا بلغت ثلاث مائة مجلد مكتوبة بخط نفيس [2].

خامسًا الاهتمام بالنساخ والوراقين:

فإن من الاهتمام بالكتب الاهتمام بهؤلاء، لأنه لا يمكن أن تنتشر الكتب إلا بانتشارهم ثم إنه لولا جهود هؤلاء النساخ لما وجدت المكتبات الضخمة في الإسلام، لأن الذي: "أسس في تكوين المكتبات وإغنائها النساخ بأعمالهم والمؤلفون بتصانيفهم"[3].

وهي مهنة صعبة.. يقول أحدهم: كنت أنسخ الكتب بالليل

---

(1) المكتبات في الإسلام (١٩١).
(2) دور الكتب العامة (٢٠٤).
(3) دور الكتب العامة (٢٩٩).

حتى ينقطع سوائي، والوراقة بمفهوم العصر الحديث تعني عملية النشر بعناصرها المختلفة من طباعة ومراجعة وتجليد وتوزيع.. إلخ، فهم نعمة كما أن الطابعات [١] التي حلت محل النساخ اليوم نعمة أيضًا فلله الحمد أولا وآخر.

وممن اهتم بهؤلاء النساخ "القاضي أبا المطرف قاضي الجماعة بقرطبة (ت٤٠٣) كان له ستة وراقين ينسخون له دائمًا، وكان قد رتب لهم على ذلك راتبًا معلومًا، وكان كلما علم بكتاب حسن عند أحد من الناس طلبه للابتياع منه، وبالغ في ثمنه، فإن قدر على ابتياعه وإلا استنسخه منه ورده عليه [٢].

دكاكين الوراقين:

ودكاكين الوراقين هذه عرفت في عهد هارون الرشيد، وانتشرت في عهده انتشارًا ملحوظًا.. حتى لا تكاد ترى مدينة.. إلا وفيها سوقًا للوراقين، يؤمه الراغب في شراء الكتب العربية، أو من يرغب قراءتها و الاطلاع عليها.

أما بالنسبة لاهتمام العلماء بدكاكين الوراقين، فإنهم كانوا يرتادونها ويجلسون فيها للاطلاع على الكتب المخطوطة والنصوص الجديدة باستمرار. بل إنها كما يقول كوركيس عواد: "لم تكن

---

(١) ذكر محمد كردي علي أن المسلمين قد سبقوا الإفرنج في اختراع الطابعات حيث إنهم كانوا المنظرين الحقيقين لها فقد ألف أبو بكر القدسي كتابًا في الخواص وصنعة الأمدة وآلة الطبع.. انظر الإسلام والحضارة العربية (٢١٤/١).

(٢) خزائن الكتب القديمة (١٠).

حوانيت الكتب محلاً تجاريًا فحسب، بل كانت ملتقى الأدباء والشعراء والعلماء الذين كثيرًا ما كانت تدور بينهم الأحاديث والمناظرات الأدبية"[١].

مثال:

وممن كان يرتادها للإطلاع.. أبا الطيب المتنبئ الذي ذكر عنه أنه جاء مرة إلى أحد الوراقين، وكان هناك رجل قد أحضر كتابًا، نحوا من ثلاثين صفحة، يريد بيعة، فأخذ أبو الطيب الكتاب، وأقبل يراجع صفحاته، فلما مل صاحب الكتاب ذلك منه، استعجله قائلا: "يا هذا لقد عطلتني عن بيعه فإن كنت تريد حفظه في هذه الفترة القصيرة، فذلك بعيد عليك. قال المتنبئ فإن كنت حفظته فمالي عليك؟ قال الرجل أعطيكه يقول الوراق: فأمسكت بالكتاب أراجع صفحاته والغلام يتلو ما به حتى انتهى إلى آخره، ثم استلبه.. وضعه في كمه ومضى لشأنه[٢].

وممن كان يرتادها أيضًا الجاحظ فقد كان "في شبابه يكتري حوانيت الوراقين ليلا فيبيت فيها بغرض مطالعة الكتب [٣].

فراسة بعض الوراقين بائعي الكتب:

يتحدث أحمد أمين عن أحد بائعي الكتب فيقول: "من طول ما مارس السوق كانت عنده فراسة قوية في المشترين، شاهدته مرة

(١) خزائن الكتب القديمة (٢٥).
(٢) سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون ابن نباتة المصري (٣٨) بتصرف
(٣) الوراقة والوراقون (١٩).

وقد جاء شيخ يسأل عن كتاب فقال له: ليس عندي.. والكتاب أمامه، فعاتبته في ذلك فعدا خلف الشيخ فناداه وعرض عليه الكتاب، فأخذ الشيخ يماكس ويمارس ويطيل المماكسة، ثم انصرف من غير أن يشتريه، فالتفت إلي، وقال: صدقت؟[١].

معرفة بعض بائعي الكتب بهواة الكتب:

ويتحدث أحمد أمين أيضًا عن ذلك البائع فيقول: "كما أن له ميزة أخرى وهي: معرفته بهواة الكتب من زبائنه، فهذا الكتاب يناسب فلانًا، وهذا الكتاب لا يناسب فلانا، وإذا أتاه كتاب حجزه للذي يظن به الانتفاع منه، وله في ذلك طبع غريب ولا يرضى أن يبيعه لمن لا ينتفع به بجنيهين[٢].

سادسًا: قراءة الكتب:

المطالعة في الكتب، والإكثار من قراءتها دليل قوي، وبرهان ساطع، على محبتها والاهتمام بها. الذين يقرءون في تصوري هم الذي تربطهم بالكتب علاقة لا يمكن لهم بحال أن ينفكوا عنها.

يضع أبو هفان مقياسًا دقيقًا لمحبة الكتب وهي القراءة، وذلك حين يصف ثلاثة من علماء عصره فيقول:

ثلاثة لم أر قط ولا سمعت أحب إليهم من الكتب والعلوم، الجاحظ، والفتح بن خاقان، وإسماعيل بن إسحاق القاضي. فأما

---

(١) حياتي أحمد أمين (١٦٧).

(٢) نفسه (١٦٨).

الجاحظ فإنه لا يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائنا ما كان حتى أنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر. والفتح بن خاقان فإنه كان يحضر لمجالسة المتوكل فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتابًا من كمه وقرأه في مجلس المتوكل وإلى عوده إليه، حتى في الخلاء، وأما إسماعيل بن إسحاق فإني ما دخلت إليه إلا رأيته ينظر في كتاب أو يقلب كتبًا أو ينفضها" [١].

أحباء القراءة كثير في تاريخنا، ولكن حسبي أن أذكر هذا النموذج فقط، لما احتواه من العمق الدلالي الذي أراد أن يوصلنا إليه أبو هفان.

مقولة رائعة في ضرورة القراءة [٢]:

مهما أوتي الإنسان من عبقرية فقد تجف نضارتها فيه إن لم يتعهدها بري المطالعة.

الكتب على فرش نومهم:

محبي الكتب قلما تغمض لهم عين أو يلذ لهم كرى، وكانوا لا ينامون إلا والكتب مضجعة معهم.. لأنهم كانوا يقرءون فيها قبل نومهم وعند الانتباه منه روي عن المأمون أنه كان ينام والدفاتر حول فراشه ينظر فيها متى انتبه من نومه وقبل أن ينام [٣].

وذكر عن الحسن اللؤلؤي، إن صح عنه أنه قال: "لقد غبرت

(١) الفهرست (٢٩١).
(٢) مقولة: عادل الغضبان مجلة الكتاب الشهرية الجزء الأول من السنة الأولى (٥).
(٣) تقييد العلم (١٢٤).

لي أربعون عامًا ما قمت ولا نمت إلا والكتاب على صدري" [١].

قراءة الكتب على سرير المرض:

كلنا يعلم أن المرض ابتلاء، يؤدي بالمرء إلى الانشغال بنفسه وآلامه، أما العلماء فلم يكن ليشغلهم المرض عن قراءة كتبهم ومطالعتهم.

حدث ابن القيم فقال: "أعرف من أصابه مرض من صداع وحمى، وكان الكتاب عند رأسه فإذا وجد إفاقة قرأ فيه فإذا غلب عليه وضعه، فدخل عليه الطبيب يومًا وهو كذلك فقال: إن هذا لا يحل لك [٢].

قراءة الكتب عند الموت:

قيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته: ما تشتهي؟ قال: النظر في حواشي الكتب [٣].

خاطرة في القراءة عند النوم:

هناك بعض الناس، وللأسف الشديد، لا يفتحون الكتب ولا يطالعونها إلا عند النوم ليس حبًا للقراءة ولا عشقًا، إنما لتكون الخطوة الرائعة لاستجلاب النعاس إلى النفوس!! وقد أشار طه حسين إلى ذلك فقال: "وكثيرًا ما نقرأ لندعوا النوم لا لنذوده عن

(١) جامع بيان العلم وفضله (١٢٣١/٢).
(٢) كيف تقرأ كتابًا (٨).
(٣) مقتطفات في الكتب والقراءة والمكتبات (٢٣٣).

أنفسنا" [١].

من كان يقرأ ليذود النوم عن نفسه:

ومنهم ابن الجهم، الذي اشتهر بحب القراءة ونهمه الكبير بها..

يقول: "إذا غشيني النعاس في غير وقت النوم، وبئس الشيء النوم الفاضل عن الحاجة، قال: فإذا اعتراني ذلك تناولت كتابًا من كتب الحكم، فأجد اهتزازي للفوائد والأريحية التي تعتريني عند الظفير ببعض الحاجة والذي يغشى قلبي من سرور الاستبانة وعز التبين أشد إيقاظًا من نهيق الحمير وهدمة الهدم.. [٢].

فشتان بينه وبين أولئك،،

سابعًا: التحذير من الكتب الضالة:

ومن مظاهر اهتمام المسلمين بالكتب تحذيرهم من الكتب الضالة.. ونعني بها: تلك الكتب التي تحاول هدم أو خرق العقيدة.

ولعل السبب الذي جعلني أدرج هذا المظهر ضمن مظاهر الاهتمام بالكتب: هو خشيتي من أن يظن ظان أننا عندما نتحدث عن الكتب أننا نقصد بذلك الإغراق في محبتها ومدحها إلى حد التقديس.. إن التقديس هو نفسه الذي جعل المأمون يقول بخلق القرآن.. لأن المأمون كان يقرأ في الفلسفة والمنطق.. يقول الصفدي: "ولما كبر المأمون عني بعلوم الأوائل، ومهر في الفلسفة،

---

(١) في البناء الدعوى، أحمد الصويان (٥٥).

(٢) الفهرست (١٨٦).

فجره ذلك إلى القول بخلق القرآن [١]. فالفلسفة إذا تشكل خطـــرًا على المعتقد.. لذا فإن العلماء قد اشترطوا شروطًا تستطيع أن نقول إنها بمثابة السلاح لكل من أراد الخوض في هذا العلم الخطر.

شروط القراءة في كتب الفلسفة:

جاء في كشف الظنون ما نصه "اعلم أن النظـــر والمطالعـــة في علوم الفلسفة يحل بشرطين:

أحدهما: أن لا يكون خالي الذهن عن العقائد الإسلامية بـــل يكون قويًا في دينه راسخًا على الشريعة الشريفة.

والثاني: أن لا يتجاوز مسائلهم المخالفة للشريعة، وإن تجـــاوز فإنما يطالعها للرد لا غير، هذا لمن ساعده الذهن والسن والوقـــت، وسامحه الدهر عما يفضي إلى الحرمان، وإلا فعليه أن يقتصر علـــى الأهم وهو قدر ما يحتاج إليه فيما يتقرب به إلى الله تعالى، ومـــا لا بد منه في المبـــدأ والمعـــاد والمعـــاملات والعبـــادات والأخـــلاق والعادات[٢].

ولكني أقول: ومع وجود هذه الشروط لا يجوز لنا أن نـــأمن الفتنة، نسأل الله الثبات حتى الممات والعافية في السر والعلانية.

وفي تاريخنا شواهد ونماذج تبين خطر ما يندفع في قراءة مثل تلك الكتب:

---

(١) دور الكتب العامة (٨٥).

(٢) مقدمة كشف الظنون (٤٧/١).

قال أبو المعالي الجويني: رحمه الله: يا أصحابنا.. لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي هذا إلى ما بلغ ما اشتغلت به..[١].

وهذا أبو معشر قدم: من خرسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء من النجوم فوصفت له الخزانة فمضى، فهاله أمرها، فأقام بها وأضرب عن الحج، وتعلم فيها علم النجوم وأغرق فيه حتى ألحد وكان ذلك آخر عهده بالحج وبالدين والإسلام أيضًا[٢].

مواقف رائدة في التصدي لكتب الفلسفة:

ولا ننسى أن نقول إنه مع انتشار تلك الكتب الضالة وشيوعها بين الناس، في ذلك الوقت، كان ثمة مواقف رائدة لبعض الخلفاء حاولت إنكار ما يجري، ومنهم المعتضد بالله فقد "منع الوراقين من بيع كتب الفلاسفة وما شاكلها، ومنع القصاص والمنجمين من القعود في الطريق [٣].

يذكر إسماعيل القاضي لنا قصة وقعت له مع المعتضد يقول: ودخلت مرة، على المعتضد بالله، فدفع إلي كتابًا فنظرت فيه.. فإذا هو قد جمع له فيه الرخص من زلل العلماء فقلت مؤلف هذا زنديق، فقال: أمختلق؟ قلت: لا، ولكن من أباح المسكر لم يبح

(١) شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز (١/١/ ١٩٣).
(٢) دور الكتب العامة (٨٩).
(٣) تاريخ الخلفاء (٢٨٧).

المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح الغناء، وما من عالم إلا وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه، فأمر بالكتاب فأحرق [١].

وذكروا عن السلطان بن سبكتكين أنه قام سنة ٤٢٠ بحرق كتب الباطنية والمعتزلة وأحرق منها نحوًا من خمسين حملاً من الكتب [٢].

تعليق

وليس غريبًا أن يفعل السلاطين هذا، بل الغريب أن نرضى بيع كتب الفساد في متاجرنا.

إن الغرب على بطلان دينهم كانوا يصادرون الكتب التي تناقض الدين والأخلاق والدولة.. ويقال إن "البرلمان الفرنسي أحرق كتاب فولتير "رسائله عن الإنكليز" [٣] لهذه الأسباب.

ثامنًا: تصحيح الكتب:

تصحيح الكتب وصنع الفهارس يعتبران مظهرين بارزين من مظاهر اهتمام المسلمين بكتبهم، منذ القرن الخامس الهجري..

في حين أن الغرب لم يهتدِ إلى ذلك إلا بعد هذا التاريخ بستة قرون..

ولقد أفرد العلامة أحمد شاكر رسالة بعنوان (تصحيح الكتب

---

(١) تاريخ الخلفاء (٢٨٦).

(٢) الكتاب في الحضارة الإسلامية عبد الله الحبشي (١٠٩).

(٣) حوار الثقافات ليلى الأحدب (١٥٧) بتصرف.

وصنع الفهارس المعجمة) بتحقيق الدكتور عبد الفتاح أبو غدة.. ذكر فيها أن المسلمين قد سبقوا المستشرقين الإفرنج في ذلك منذ قرون طويلة.. فيقول: "لم يكن هؤلاء الأجانب مبتكري قواعد التصحيح، وإنما سبقهم إليها علماء الإسلام المتقدمون، وكتبوا فيها فصولا نفيسة، نذكر بعضها هنا، على أن يذكر القارئ أنهم ابتكروا هذه القواعد لتصحيح الكتب المخطوطة، إذ لم تكن المطابع وجدت، ولو كانت لديهم لأتوا بالعجب العجاب، ونحن وارثو مجدهم وعزهم، وإلينا انتهت علومهم، فلعلنا نحفز هممنا لإتمام ما بدؤوا به.

نبني كما كانت أوائلنا
تبني ونفعل مثل ما فعلوا[(١)]

ومن الأمثلة على التصحيح والتنقيح ما يلي:

قرأ يحيى بن يحي النيسابوري الحافظ كتاب الموطأ على مالك فلما فرغ منه قال لمالك: ما سكن قلبي إلى هذا السماع، قال: و لم؟ قال لأني خشيت أنه سقط منه بعيِّي، فقرأ مالك فلما فرغ قال: ما سكن قلبي إليه، لأنه أخشى أنه سقط من أذني شيء، قال: فما تريد، قال: اقرأه أنا ثانيًا فتسمعه فقرأه فتم له سماع ثلاث مرات[(٢)].

يقول الجاحظ مثمنًا الجهد الذي يكابده المصحح ولربما أراد مؤلف الكتاب أن يصلح تصحيفًا، أو كلمة ساقطة، فيكون إنشاء

(١) تصحيح الكتب وصنع الفهارس، أحمد شاكر (١٥).
(٢) أدب الإملاء والاستملاء السمعاني (١٥).

عشر ورقات من حر اللفظ وشريف المعاني أيسر عليه من إتمام ذلك النقص" (١)

ويقول عبد الرحمن البرقوقي: "إن الجهد الذي يبذل في سبيل التأليف أهون على المرء من الجهد ا لذي يقاسي في سبيل التصحيح(٢).

كم من كتاب قد تصفحته وقلت في نفسي أصلحته
حتى إذا طالعته ثانيًا وجدت تصحيفًا فصححته (٣)

تاسعًا: صناعة الفهارس:

يقول أحمد شاكر أيضًا: وكما اغتر الناس بصناعة المستشرقين في التصحيح اغتروا بصناعتهم في الفهارس، بل كانوا أشد بهم اغترارا، وأكثر لهم خنوعًا وخضوعًا، ووقع في وهمهم اليقين بأن هذه الفهارس شيء لم يعرفه علماء الإسلام والعربية، بل ظنوا أن أنواع المعاجم كلها من ابتكار الإفرنج، وأن ما عندنا منها تقليد لهم واقتباس منهم (٤)، ويقول يوسف العش: "توسع فن الفهرسة كثيرًا عند المسلمين، وربما كان من ابتكارهم الشخصي" (٥).

١- استطيع أن أقول إن أول كتاب في هذا الفن كان على يد

(١) الحيوان (٧٩/١).
(٢) شرح ديوان المتنبي من مقدمة البرقوقي (٧/١).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٣٣٨).
(٤) تصحيح الكتب وصنع الفهارس (٨٢).
(٥) دور الكتب العامة (٣٤٤).

ابن النديم.. حين ألف كتابه الشهير (الفهرست) ثم يليـــه مفتـــاح السعادة، فكشف الظنون، وإن كانت تعد مؤلفـــات بيلوجرافيـــة "إحصائية" في ظاهرها لكنها في الحقيقة نوع من أنواع الفهرسة.

٢- وممن اعتنى بالفهرسة من المحدثين مصطفى علـــي بيـــومي يقول عن عمله في وضع الفهارس المتنوعة لأمهات كتب الســـنة: "وشغفت بهذا الفن وقضيت فيه عمري، وبذلت فيه ثروتي وراحتي، حتى خرجت بثروة طائلة من هذه الفهارس المتنوعة، المتضمنة لكل مضامين كتب السنة الستة وغيرها [١].

عاشرًا: توخي الدقة في التأليف:

كان العلماء السابقون حريصين علـــى أن تكـــون مؤلفـــاتهم صحيحة من العيوب والأخلاط.. وكان الجاحظ يقول: وينبغي لمن كتب كتابًا أن لا يكتبه إلا على أن الناس كلهم له أعداء، وكلهم عالم بالأمور، وكلهم متفرغ له، ثم لا يرضي بذلك حتى يدع كتابه غفلاً، ولا يرضى، بالرأي الفطير، فإن لابتداء الكتاب فتنة وعجبًا، فإذا سكنت الطبيعة، وهدأت الحركة، وتراجعت الأخلاط، وعادت النفس وافرة، أعاد النظر فيه، فتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طعمه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب، ويـــتفهم معنى قول الشاعر:

إن الحـــديث تغـــر القـــوم خلوتـــه
حـــتى يلـــج بهـــم عـــي وإكثـــار [٢]

---

(١) تصحيح الكتب وصنع الفهارس (٧٢).
(٢) الحيوان (١/٨٨).

ويقول النووي: وليحذر إخراج تصنيفه إلا بعد تهذيبه وتحريره والنظر فيه [١][٢].

ومن كان يتوخى الدقة في التأليف:

ابن خلكان حيث جلس في تأليف كتابه (وفيات الأعيان) قرابة الثمانية عشرة عامًا ابتدأ فيه بتاريخ (٦٥٤)هـ وانتهى منه بتاريخ ٦٧٢ هـ، بل إنه ظل ينقحه لمدة سنتين إضافتين..[٣].

ومنهم الزجاج حيث أمضى في تأليف كتابه معاني القرآن "نحو ستة عشر عامًا بدأ يمليه سنة ٢٨٥ وانتهى منه في سنة ٣٠١هـ[٤].

ومن الضروري أن نعلم أن الدقة في التأليف لا تعني المدة التي استغرقها المؤلف في تأليفه فقد كان لدى ابن تيمية القدرة على التأليف مما جعلته بفضل الله يتفوق على غيره. فقد ألف كتابًا في جلسة واحدة فقط كما هو معروف من تأليفه للفتوى الحموية فقد نص هو على ذلك إذ يقول: كنت سئلت من مدة طويلة بعيدة سنة تسعين وست مائة عن الآيات والأحاديث الواردة في صفات الله

---

(١) ومن أراد أن يصنف فعليه قبل ذلك بالدعاء ذلك لأن للدعاء أثرًا في حسن التصنيف والتأليف "قال الحافظ أبو حازم العبدوي: سمعت الحاكم يقول.. شربت ماء زمزم وسألت الله أن يرزقني حسن التصنيف" تذكره السامع والمتكلم (١٣٦) قال الذهبي: ومن تأمل كلامه في تصانيفه وتصرفه في أماليه ونظره في طرق الحديث أذعن بفضله، تذكرة السامع والمتكلم (١٣٧).

(٢) الكتاب في الحضارة الإسلامية (١٦٧).

(٣) وفيات الأعيان (١) من مقدمة المحققين.

(٤) معاني القرآن، من مقدمة المحقق (٢١/١).

في فُتْيَا قدمت من حماة فأحلت السائل على غيري فـذكر أنهم يريدون الجواب مني فكتبت الجـواب في قعـدة بـين الظهـر والعصر..[1].

تعليق

وهنا سؤال قد يرد: كيف استطاع ابن تيمية أن يؤلف كتابًا بمثل هذه الجودة في جلسة بين الظهر والعصر؟

أولا: يجب أن نعلم أن سؤال الفتوى كان بينه وبين الإجابة عليه قرابة الثماني سنوات.

ثانيًا: ابن تيمية قد تخصص في هذا الجانب "علـم العقيـدة" وأمضى فيه عمرًا طويلاً.

وبالتالي يمكننا أن نقول إن ابن تيمية كان يفكر في الإجابة على هذا السؤال مدة ثماني سنوات منذ سنة ٦٩٠ هـ حتى سنة ٦٩٨ هـ وهو وقت قد يكون كافيًا لإخراج موسوعة.. هذا بالإضافة إلى تخصصه العميق في علم العقيدة والملل والنحل.

زِدْ على هذا أيضًا ما كان يتمتع به ابن تيمية من عبقرية نادرة قلما توجد.. حتى قيل إنه من أعظم عباقرة الدنيا.

الكمال مستحيل إلا في كتاب الله:

"عن المزني تلميذ الشافعي، رحمه الله، قال: لو عورض كتـاب سبعين مرة لوجد فيه خطأ، أبى الله أن يكون كتاب صحيحًا غـير

---

(1) الفتوى الحموية، من مقدمة المحقق (٦٣).

كتاب الله [١].

وقال الجاحظ: محذرا من المبالغة في التنقيح: "وليس له أن يهذبه جدًا، وينقحه ويصفيه، ويروقه حتى لا ينطق إلا بلب اللب وباللفظ الذي قد حذف فضوله، وأسقطت زوائده حتى عاد خالصًا لا شوب فيه، فإنه إن فعل ذلك لم يفهم عنه [٢].

خاطرة حول انتشار بعض التآليف وضمور البعض الآخر:

إن عدم انتشار بعض الكتب لا يعني بالضرورة انعدام الفائدة منها، أو أنها لم تكن في المستوى المطلوب..

والحق يقال إن هناك من الكتب ما قد تنتشر في بادئ الأمر ثم لا تلبث أن تنسى وتدفن.. كما أن هناك من الكتب ما هو عكس ذلك.. وحول هذا المعنى يقول علي الطنطاوي رحمه الله: "رب كتاب يطبل له ويزمر، ويقام له ويقعد، وآخر لا يدري به أحد، يبطل ا لزمان الأول، ويبقى الثاني خالدًا [٣].

تعليق

هنا سؤال قد يرد: ما سبب انتشار الكتاب وخلوده؟

هناك سببان:

الأول: الإخلاص:

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٣٣٨).
(٢) الحيوان (٩٠).
(٣) فكر ومباحث، علي الطنطاوي (١٧٠).

فهذا الإمام أحمد بن حنبل لم يكن يكتب من كلامه شيئًا، بل كان يكره أن يكتب عنه شيء، ومع ذلك ما زالت أقواله وآراؤه يستدل بها إلى اليوم.. إن سبب ذلك، والله أعلم، هو الإخلاص قال في إعلام الموقعين وكان أحمد، رحمه الله تعالى، شديد الكراهية لتصنيف الكتب، وكان يحب تجريد الحديث، ويكره أن يكتب كلامه، ويشتد عليه جدًا فعلم الله حسن نيته وقصده، فكتب من كلامه وفتواه أكثر من ثلاثين سفرًا، وجمع الخلال نصوصه في الجامع الكبير فبلغ عشرين سفرًا، أو أكثر [١].

الثاني: العمل بما في الكتاب:

يقول ابن الجوزي: بعد أن تحدث عن أناس صنفوا وألفوا ثم فرطوا في بعض الأعمال قال: "فلا يكاد أحد أن يلتفت إلى مصنفاتهم" [٢] أي أن مؤلفاتهم قد وضعت في ملف النسيان.

الحادي عشر: التأليف الموسوعي عند العرب أو المعارف العامة:

ظهر هذا النوع من التأليف كبذرة أولى في القرن الرابع "وكان أول كتاب من هذا النوع الجديد، فيما نعلم، هو كتاب إحصاء العلوم للفارابي [٣].

بينما يرى عبد السلام هارون أن أول من فتح الباب إلى هذا

(١) إيقاظ أولي الهمم والأبصار، الفلاني (٢٨٥).
(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي (٢٥٩).
(٣) مفتاح السعادة (٣٨/١).

النوع من التأليف هو الجاحظ يقول: "ونستطيع أيضًا أن نعد تراث أبي عمرو الجاحظ في قمة التأليف في المعارف العامة، أو أن نقول: هو الذي فتح الباب لمن جاء من بعده من العرب وغيرهم.. "[١].

ومن أمثلة التأليف الموسوعي: "كتاب الفنون الذي قيل إنه يقارب أربعمائة مجلد.

وقال عنه الحافظ الذهبي: لم يصنف في الدنيا أكبر من هذا الكتاب، بل قال بعضهم عن هذا الكتاب إنه يبلغ ثماني مائة مجلد، ومهما قيل عن عدد مجلداته، فلا ريب أنه أشبه ما يكون بدائرة معارف [٢].

الثاني عشر: ألفوا تأليف خاصة عن آداب طالب العلم مع كتبه:

وبلغ من اهتمامهم بالكتب أنهم ألفوا تآليف خاصة ذات فصول وأبواب عن آداب طالب العلم مع كتابه، وكيفية النسخ، والحث على الجيد من الورق، وصفة القلم الذي يكتب به، والحبر ولونه، وطرق المحافظة على الكتاب، وغير ذلك من الآداب [٣].

ومن تلك الكتب: آداب الإملاء والاستملاء، وتقييد العلم، وتذكرة السامع والمتكلم... وغيرها كثير.

---

(١) التراث العربي (٩).
(٢) العلم والعلماء (١٠٦).
(٣) كيف تقرأ كتابًا (١٠).

الثالث عشر: الغزو من أجل تحصيل الكتب:

فقد ذكر أن الرشيد كان يغزو بلاد الروم من أجل ذلك.. وإن كان قصده، في الأساس القضاء على قوة الروم، وإخضاع شوكتهم إلا أن ذلك يدلنا إلى أن هارون الرشيد كان يتحرى الفرص للحصول على مزيد من الكتب والمخطوطات في مختلف أنواع العلوم: في الطب والفلك، والرياضيات، والفلسفة "وأما طريقة حصوله على تلك الكتب فكانت تتم في أن يتجه بغزواته إلى المدن المشهورة على أنها معاقل للثقافة اليونانية في آسيا الصغرى كعمورية وأنقرة وغيرها" [١].

وكان إذا انتصر أبرم صلحًا من شروطه "الحصول على الكتب التي يريدها [٢].

وكذلك كان ابنه المأمون إذ يقال إنه: "أرسل إلى ملك جزيرة قبرص يطلب منه الكتب فلم يرسلها فغضب المأمون، وجمع العساكر، وبلغ الخبر إلى الملك، فجمع البطاريق والراهبين، وشاورهم في الأمر، فقالوا: إن أردت الكسر في دين المسلمين وتزلزل عقائدهم فلا تمنعهم عن الكتب، فاستحسن الملك ذلك، وأرسلها إلى المأمون [٣].

---

(١) المكتبات في الإسلام (٥٦).
(٢) نفسه (٥٧).
(٣) دور الكتب (٦١).

الرابع عشر: اقتران الكتب بالسلاح:

من مظاهر اهتمام المسلمين بالكتب أهم كانوا كثيرًا ما يقرنوها بالسلاح، ويذكروها معه، فقد روي عن المهلب أنه قال لبنيه: "يـــا بني : إذا وقفتم في الأسواق فلا تقفوا إلا على من يبيع الســـلاح أو من يبيع الكتب" [١].

وروى الجاحظ أن المهلب قال لبنيه: "يا بـــني لا تقومـــوا في الأسواق إلا على زراد أو وراق" [٢] ومعنى الزراد: صانع الدروع.

ومن الشعر قول بعضهم:

مجالســـــة الســـــوق مذمومـــــة
وفيهـــا مجـــالس قـــد تســـتحب
فـــلا تقصـــدن غـــير ســـوق الـــدواب
وســـوق الســـلاح وســـوق الكتـــب[٣]

وقالت الحكماء:

السيف والقلم حاكمان في جميع الأشياء لولاهما لما قامت الدنيا وما انتظم أمرها من المعاش [٤].

لا بد لكي تستقيم الحياة وينقاد الناس لحكامهم مـــن هـــذين

---

(١) المكتبات في الإسلام (٣٤).
(٢) الحيوان (١/٥٢).
(٣) تقييد العلم (١٢٥).
(٤) محاضرة الأوائل (٧٤).

الأمرين، لهذا لما بعث الله طالوت ملكًا زاده بسطة في العلم والجسم.

وحول هذا المعنى يقول السعدي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧] أي: فضله عليكم بالعلم والجسم، أي: بقوة الرأي والجسم.. اللذين بهما تتم أمور الملك، لأنه إذا تم رأيه وقوي على تنفيذ ما يقتضيه الرأي المصيب حصل بذلك الكمال، ومتى فاته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر، فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأي حصل في الملك خرق وقهر ومخالفة للمشروع، قوة على غير حكمة، ولو كان عالمًا بالأمور وليس له قوة على تنفيذها لم يفده الرأي.. (١).

الخامس عشر: الرحلة بالكتب:

إن العلماء حريصون على أن لا ينزلوا منزلا، ولا يطؤون موطئًا.. إلا والكتب محمولة معهم، حرصًا على الاستزادة من العلم والحفاظ على الوقت.

قال الأصمعي: خرجت مع الرشيد إلى الرقة، فلقيت إسحاق الموصلي بها، فقلت له: هل حملت شيئًا من كتبك؟ فقال: حملت ما خف، فقلت: كم مقداره؟ فقال ثمانية عشر صندوقًا. فعجبت وقلت: إذا كان هذا ما خف، فكم يكون ما ثقل؟ فقال أضعاف ذلك.. (٢).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، للإمام السعدي رحمه الله (١٠٨).
(٢) خزائن الكتب القديمة في العراق (١٩٥).

السادس عشر: انتساب بعض الأسر إلى الكتب:

لقد بلغ الحال في محبة المسلمين لكتبهم أن جعلوها لقبًا ينتسبون إليه، يأتي في مقدمة هذه الأسر: أسرة السادة آل الكتبي، وهي أسرة هاشمية معروفة، منهم العلامة السيد (أمين كتبي) يرحمه الله، الذي كان مدرسًا بالمسجد الحرام (١).

وهناك أيضًا أسرة (كتب خانة) فقد كان جدها على ما بلغني أمينًا لمكتبة الحرم المكي (٢).

السابع عشر: زواجهم لأجل الكتب:

لا تعجب إذا قلت لك إن من العلماء من كان يتزوج من أجل كتب.

جاء في خبر ورد في الجزء الحادي والعشرين من مختصر تاريخ ابن عساكر، ونصه: وتزوج إسحاق ابن راهوية بمرو بامرأة رجل كان عنده كتب للشافعي وتوفي. لم يتزوجها إلا لحال كتب الشافعي عندها (٣).

الثامن عشر: الاستعارة:

اهتم علماء المسلمين بالإعارة اهتمامًا كبيرًا، حتى شغلت حيزًا لا بأس به من كتب الفقه، إذ من العلماء من أنزل عليها الأحكام

(١) رحلتي مع المكتبات (٣٦).
(٢) نفسه (٣٥).
(٣) مجلة الجزيرة الثقافية (٩) تاريخ (١٤٢٤/٦/١٣) هـ من مقال مكتبتك صفها لنا: عبد السلام العجيلي.

الخمسة: الوجوب والاستحباب والتحريم والإباحة والكراهة.

غير أن هذا ليس مجال بحثنا [١].

والذي يهمنا هو أن العلماء أولوا هذا الموضع عناية.. بل والذي يهمنا أكثر في هذا الجانب أولئك الذين وقفوا من الإعارة موقفًا يثير التساؤل..؟

لقد امتنع عدد من العلماء عن إعارة كتبهم.. وهذا كما نعلم قد تدخل فيه مسألة كتمان العلم التي حذر منها الرسول، فما السبب؟

من لم يُعِرْ الكتب وسبب ذلك:

هناك من العلماء والمثقفين امتنع، كما قلنا، عن إعارة كتبه وذلك بسبب خوفهم عليها.. ولا غرو إذ هي مستودع علمهم ومعارفهم، ومنهل ثقافتهم، وهي أنسهم.. وكثير من الناس لا يقدرون الكتاب حق قدره، إما استخفافًا بمن أعاره لهم.. وإما لقلة مبالاتهم بذات الكتب.

بل إن المتتبع لأخبار العلماء الذين يمارسون الإعارة يجد فيهم الغلظة والقسوة والمن الشديد تجاه المستعير.. ذلك أنهم عرفوا أن الناس لا يرتدعون إلا حين يجابهون بأساليب كهذه.. فلله درهم.

---

(١) للاستفادة انظر كتاب (إعارة الكتب أحكامه وآدابها في الفقه الإسلامي تأليف صالح الرشيد.

نماذج من قسوهم على المستعير:

يقول أحدهم:

"إن استعارة كتاب مني وعدم إعادته إلي إنما هو عمـل غـير نبيل، بل وإن القائم به لتافه وخائن" (١).

سأل رجل رجلا أن يعيره كتابًا فأبى عليه، فقال خـذ مـني رهنًا، فقال: من وجب أن يسترهن علـى علـم فواجـب أن لا يعار"(٢).

وتقول عابدة المؤيد العظم عن جدها الشيخ علي الطنطاوي أنه كان "لا يسمح بخروج الكتاب خارج بـاب بيتـه إلا بظـروف استثنائية، وبإذن رسمي مشترطًا مدة محددة غـير طويلـة لإعـادة الكتاب إليه، ظنًا به وخوفًا عليه، ثم هو يسأل المستعير عنه كلمـا قابله أو هاتفه حتى يقول: ليتني لم استعر كتابًا من الشيخ، ولعله لا يعود إلى طلب كتاب بعدها (٣).

بل إن منهم من قد يكذب هربًا من الإعـارة.. ويـرى أنـه تصرف الحكماء بل ويدعو أصحابه إلى اتباع ذلك النهج، نسـأل الله العافية، يقول أحدهم: "لا تعر كتابًا.. إنما قدم عذرًا لـذلك، واكذب من أجله، فإن ذلك هو سبيل التصرف الحكيم في مثل هذه الأحوال، وإذا لم تتعظ بكلماتي فإنك- ولا ريب- ستفقد ذلـك

(١) المكتبات في العراق (٥١).
(٢) تقييد العلم (١٤٨).
(٣) هكذا ربانا جدي، علي الطنطاوي (١٣٨).

الكتاب إلى الأبد [١].

البخل بالكتب:

قال أبو حيان: وأما عيسى بن علي فإنه بخيل بكلمة واحـــدة، ونصيح على ورقة فارغة، قال الأحمدان في حاشية الكتاب: أي: أنه بلغ من شدة بخله بعلمه أنه لا يستطيع أحد أن يخدعه حتى في ورقة فارغة يأخذها منه [٢].

مقولة رائعة: الشيخ سليمان بن عبيد:

يقول: الناس يستأمنون على كـــل شــيء إلا علـــى المحـــارم والكتب[٣].

الإعارة مطلب:

غير أنه يجب أن نعي الفرق بين من قد يستفيد من الكتاب ومن قد لا يستفيد.. وبين من يحترم الكتاب ومن لا يحترمه فالأول جدير بأن يعار.. وأما الثاني فلا، وللعلماء حكايات توحي بأنهم كـــانوا مراعين لذلك..

قال بعض الأدباء: لا تعر كتاب علم من ليس مـــن أهلـــه، واعتبار ذلك بأن تستقريه الكتاب الذي طلبه، فإن قـــرأه قـــراءة صحيحة فهو من أهله، وإن لم يحسن قراءته فليس من أهله.. فـــلا

(١) المكتبات في العراق (٥١).
(٢) الإمتاع والمؤانسة (٣٧).
(٣) سمعتها من الشيخ محمد المشوح في إحدى المجالس.

تُعِرْه [١].

وقيل: "من أعار كتاب علم غير أهل العلم، فقد جهل حق العلم وأضاعه [٢].

التاسع عشر: وقف الكتب:

موضوع وقف الكتب موضوع طويل، ولبعض الباحثين كتب مصنفة [٣] لكن لا مانع من أن نلقي الضوء عليه ولو قليلاً.

الذي دفع الناس إلى أن يقفوا كتبهم هو حرصهم على الأجر المترتب عليه فقد جاء في الحديث (**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**) رواه مسلم [٤].

فوقف الكتب يعد من العلم الذي ينتفع به ومن الصدقة الجارية.

الذين أوقفوا كتبهم في تاريخنا الإسلامي كثيرون.. فمنهم من يقف إما على مسجد، أو مدرسة، أو مكتبة.. ومنهم من لم يحدد.

وكان هناك من العلماء من يقف كتبًا على أشخاص كما فعله الحميدي فقد "أوقف كتبه على أهل العلم" [٥] وقريبًا منه

(١) تقييد العلم (١٤٦).
(٢) نفسه (١٤٨).
(٣) ككتاب: الوقف وبنيه المكتبة العربية تأليف: يحيى محمود ساعاتي.
(٤) مختصر صحيح مسلم كتاب الوقف رقم الحديث (١٠٠١).
(٥) دور الكتب العامة (٢٢٣).

المستظهري حيث وقف كتبًا على أصحاب الحديث [١].

العشرون: احترام الكتب:

أولا: صونها من الإهانة:

كان العلماء يرون أن امتهان الكتاب عنوان الجهل ودليل نقص العقل.

رأى بعض الحكماء رجلاً يبتذل كتابًا فقال له: بينت عن نقصك، وبرهنت عن جهلك، فما أهان أحد كتاب علم إلا لجهله بما فيه، وسوء معرفته بما يحويه [٢].

ثانيًا صونها من التلف:

قد تتعرض الكتب للماء أو الأرضة أو قد تصل أيدي الأطفال إليها فيصيبها ما يصبها من الإساءة البريئة، بسبب تقصيرنا، وقلة اهتمامنا.. لقد كانت للسلف، رحمه الله، مواقف فذة تنبض بالتفاني والوفاء.. مع كتبهم.. وتصور لنا مدى حرصهم عليها.. واهتمامهم بها:

"الشاذكوني من الحفاظ الكبار رُئِيَ بعد موته في النوم، فقيل له ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، فقيل بماذا؟ قال كنت في طريق أصبهان، فأخذني المطر، وكان معي كتب، و لم أكن تحت سقف ولا شيء.. فانكببت على كتبي حتى أصبحت، وهدأ المطر فغفر الله

(١) نفسه (٢٢٣).
(٢) تقييد العلم (١٤٧).

لي ذلك في آخرتي" [١].

وقفة:

تصاب الكتب أحيانًا بالتلف أو الأذى فنحزن عليها، لا بأس في ذلك، لكن يجب أن لا يكون في الحزن عليها سخط أو جزع، فإنه يذكر أن ابن الملقن لما فقد كتبه اختلط عقله [٢]، نسأل الله الثبات عند نزول المصائب.

من وصايا ابن جماعة:

يقول: "ولا يجعل الكتاب خزانة للكراريس أو غيرها، ولا مخدة، ولا مروحة، ولا مكسبًا، ولا مسندًا، ولا متكئًا، ولا مقتلة للبق وغيره ولا سيما في الورق فهو على الورق أشد، ولا يطوي حاشية ا لورق أو زاويتها، ولا يعلم بعود أو شيء جاف بل بورقة أو نحوها، وإذا ظفر فلا يكبس ظفره قويًا [٣].

---

(١) صفحات من صبر العلماء (٢٥٩).
(٢) صفحات من صبر العلماء (٢٧٣).
(٣) تذكرة السامع والمتكلم (١٧٢).

من فوائد الاهتمام بالكتب

(يجب أن تؤدي الكتب إلى إحدى أربع غايات:
الحكمة أو الورع أو البهجة أو النفع)
جون دنهام

من فوائد الاهتمام بالكتب:

قد تجلب الكتب لصاحبها آثارًا حميدة وفوائد جليلة.. من ذلك:

أولا: تورث الهيبة:

وهذا ما ألمح الجاحظ إليه حين قال: "دخلت على إسحاق بن سليمان في امرته.. ثم دخلت عليه وهو معزول، وإذا هو في بيت كتبه، وحواليه الأسفاط والرقوق، والقماطر والدفاتر والمساطر والمحابر، فما رأيته قط أفخم ولا أنبل، ولا أهيب ولا أجزل منه في ذلك اليوم، لأنه جمع مع المهابة المحبة، ومع الفخامة الحلاوة، ومع السؤدد الحكمة [١].

ثانيًا: تورث السعادة:

قيل لبعضهم: "من يؤنسك؟ فضرب بيده إلى كتبه، وقال هذه، فقيل من الناس؟ فقال: الذين فيها [٢].

ثالثًا: تقوم اللسان وتزيل عنه اللكنة:

قال أبو حيان التوحيدي عن شيخه أبا سليمان: إن فيه لكنة وسببها أمران: العجمة وقلة النظر في الكتب [٣]. فلو أن أبا سليمان نظر في الكتب العربية لزالت عنه اللكنة وإن كان أعجميًا.

---

(١) الحيوان (٦١/١).
(٢) تقييد العلم.
(٣) الإمتاع والمؤانسة (٣٣/١).

رابعًا: دواء للحفظ:

سئل عبد الله بن إسماعيل البخاري: ما البلاذر؟ فقال إدامة النظر في الكتب [١].

خامسًا: الكتب تشغلك عن سخف المنى:

يقول الجاحظ: "ولو لم يكن في ذلك إلا أنه يشغلك عن سخف المنى، وعن اعتياد الراحة، وعن اللعب وكل ما أشبه اللعب، لقد كان على صاحبه أسبغ النعمة، وأعظم المنة [٢].

سادساً: أنها سبب لميل الأولاد إلى العلم:

يقول الجاحظ: من كانت مواريثه كتبًا كان الولد أجدر أن يرى التعلم حظًا [٣]، وهو الذي يقول: "خير ميراث ورث كتب وعلم" [٤].

اسأل الله أن يؤدي هذا الكتاب هدفه المرجو هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١٢٢٧/٢).
(٢) الحيوان (٥٢).
(٣) نفسه (١٠١/١).
(٤) نفسه (١٠١/١).

أهم المراجع

١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط الأولى.

٢- معاني القرآن، للزجاج، وتحقيق: د/ عبد الجليل عبده شلبي.

خرج أحاديثه: علي جمال الدين، دار الوليد، ط الأولى.

الحديث وعلومه

٣- مختصر صحيح مسلم، للحافظ المنذري، تحقيق: محمد بن ناصر الألباني مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة للطبعة الجديدة.

٤- مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث، تحقيق د/ عبد الحميد هنداوي.

العلم وآدابه

٥- جامع بيان العلم وفضله، ليوسف بن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط الخامسة.

٦- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم، لابن جماعة الكناني، دار الكتاب العلمية، ط لا يوجد.

٧- أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني، شرح ومراجعة: سعيد محمد اللحام، دار مكتبة الهلال، الطبعة الأولى.

٨- تقييد العلم، للخطيب البغدادي، تحقيق يوسف العش، نشرته دار إحياء السنة النبوية، ط الثانية.

٩- العلم والعلماء. زيد بن عبد العزيز الفياض. ط الأولى.

١٠- إيقاظ أولي الهمم والأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار وتحذيرهم من الابتداع الشائع في القرى والأمصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأعصار.. للإمام صالح بن محمد العمري الشهير بالفلاني حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: أبو عماد السخاوي، دار الفتح للطباعة والنشر. ط: الأولى.

١١- صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل، عبد الفتاح أبو غده، مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب ط١ الثلاثة.

العقيدة

١٢- شرح العقيدة الطحاوية، للقاضي علي بن أبي العز، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه. بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، ط الثالثة.

١٣- الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية، تحقيق حمد التويجري، دار الصميعي ط: ١٤١٩ هـ.

التاريخ والتراجم والأدب وغيرها

١٤- تاريخ الخلفاء السيوطي، تحقيق: أحمد إبراهيم زهوة سعيد أحمد العيدروسي دار الكتاب العربي.

١٥- الفهرست، ابن إسحاق المعروف بابن النديم، ضبطه

وشرحه وعلق عليه وقدم له الدكتور: يوسف على الطويل، وضـــع فهارسه: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط الأولى.

١٦- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، حقـــق أصـــوله وكتـــب هوامشه: يوسف علي طويل، مريم قاسم طويل. ط الأولى.

١٧- محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر، للعلامة: علاء الدين علي دده السكتواري البسنوي دار الكتاب العربي، ط الثاني.

١٨- المختار المصون من أعلام القرون، اختيارات وفهرســـة محمد بن حسين عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء، ط الأولى.

١٩- ظهر الإسلام، أحمد أمين، دار الكتب العربي، ط: الثالثة.

٢٠- الإسلام والحضارة العربية، محمد كرد علـــي، الناشـــر: بدون الطبعة: بدون.

٢١- منهج كتابة التاريخ الإسلامي، محمد صـــامل العليـــاني السلمي دار طيبة للنشر والتوزيع، ا الأولى.

٢٢- الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدي، صححه وضبطه وشرح غريبه أحمد أمين، وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة، ط: بدون.

٢٣- زهر الآداب وثمر الألباب، مفصل ومضبوط ومشـــروح بقلم زكي مبارك، دار الجيل، ط: الرابعة.

٢٤- شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتـــاب العربي بتاريخ ١٤٠٧ (كتب مكتبات).

٢٥- مقدمة كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، آيـــة

الله العظمى السيد شهاب الدين النجفي المرعشي، منشورات مكتبة المثنى.

٢٦- خزائن الكتب القديمة، كوركيس عواد، دار الرائد العربي ط الثانية.

٢٧- دور الكتب العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط، د. يوسف العش ترجمة عن الفرنسية نزار أباظة، ومحمد صباغ، دار الفكر المعاصر، دار الفكر ط: الأولى.

٢٨- المكتبات في العراق منذ أقدم العصور حتى الوقت الحاضر تأليف: فؤاد يوسف قزانجي، دار الشؤون الثقافية العامة، ط الأولى.

٢٩- المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها محمد ماهر حمادة مؤسسة الرسالة، ط الثالثة.

٣٠- الكتب والمكتبات في الأندلس، د. حامد الشافعي دياب، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ط الأولى.

٣١- الكتاب في الحضارة الإسلامية، عبد الله الحبشي، شركة الربيعان للنشر والتوزيع ط الأولى.

٣٢- لمحات من تاريخ الكتب والمكتبات د/ عبد الستار الحلوجي دار الثقافة للطباعة والنشر، ط الثالثة.

٣٣- مقتطفات في الكتب والقراءة والمكتبات اختارها ورتبها وترجم الأجنبي منها د. كامل العسلي، نشر من الجامعة الأردنية ط: بدون.

٣٤- إعارة الكتب أحكامها وآدابها في الفقه الإسلامي تأليف محمد بن صالح الرشيد، دار الصميعي، ط الأولى.

٣٥- رحلتي مع المكتبات.. مكتبات مكة المكرمة، عبد العزيز الرفاعي، دار الرفاعي.

٣٦- كيف تقرأ كتابًا محمد صالح المنجد، دار الوطن، ط: الأولى.

٣٧- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم تأليف بطاش كبرى زاده.

تحقيق: كامل كامل بكري: وعبد الوهاب أبو النور.

٣٨- الحيوان للجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون دار إحياء التراث.

٣٩- فكر ومباحث، علي الطنطاوي دار المنارة، ط: الثالثة.

٤٠- هكذا ربانا جدي علي الطنطاوي، عابدة المؤيد العظم دار المنارة للنشر والتوزيع، ط الأولى.

٤١- حياتي، أحمد أمين، امبريمتو، ط: الثانية.

٤٢- (أنا) عباس العقاد، منشورات المكتبة المصرية.

٤٣- صيد الخاطر، ابن الجوزي تحقيق وتعليق عامر بن علي ياسي، دار ابن خزيمة، ط الثانية.

٤٤- حوار الثقافات مدخل لقراءة الآخر ونقد الذات، ليلى

الأحدب ط الأولى.

٤٥- في البناء الدعوي، أحمد عبد الرحمن الصويان، المنتـــدى الإسلامي، ط الأولى.

٤٦- الوراقة والوراقون لطف الله قـــاري، دار الرفـــاعي، ط الثانية.

٤٧- التراث العربي، عبد السلام هارون.

٤٨- قصة الحضارة، دويرانت ول.

٤٩- شمس العرب تسطع على الغرب زيغريد هونكه، نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشـــيه مارون عيسى الخوري، دار صادر، ط: التاسعة.

٥٠- تسريع القراءة وتنمية الأستيعاب، أنس الرفاعي، محمـــد عدنان سالم، دار الفكر، ودار الفكر المعاصر.

٥١- المقتبس من وحي الرسالة، أحمد حسن الزيات، جمـــع: خليل الهنداوي، وعمر الدقاق، دار القلم، دار الشرق.

٥٢- مجلة الكتب الشهرية.

٥٣- مجلة الجزيرة الثقافية.

الفهرس

المظـــــاهر

من فوائد الاهتمـــام بالكتب

